لقاء العدد:

الأديب الكبير عبدالله بن خميس:

الأدب الإسلامي ينبغي أن يكون في طليعة الأدب عندنا

ارتبط فكره وأدبه بأمته الإسلامية وهمومها، فها هو يقول: «أنا مؤمن درب الجهاد سبيله»، ويقول عن الصومال:

وما نحن والصومال إلا إخوة يشايعها حبٌ عميق وإسلامُ ذلكم هو الأديب عبدالله بن محمد بن خميس، وهو صوت سعودي أصيل، يكتب المقالة، وينظم الشعر، ويعالج البحث، ويمكن وصفه بدون مبالغة بالأديب الموسوعي. قدّم للمكتبة العربية خمسة وعشرين مؤلفاً، من أبرزها: تاريخ اليمامة، المجاز بين اليمامة والحجاز، الشوارد، شهر في دمشق، على ربى اليمامة (ديوان شعر) من جهاد قلم في النقد، الأدب الشعبي في جزيرة العرب.

أسس صحيفة «الجزيرة» قبل أربعين عاماً، وأسهم بقلمه على مدى أكثر من نصف قرن في نهضة الأدب في المملكة العربية السعودية، يحمل عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وكرّمته الدولة عام ١٤٠٣هـ بحصوله على جائزة الدولة التقديرية في الأدب.

■ الأستاذ: عبدالله بن خميس

تعالوا نقرأ أفكار ابن خميس وآراءه في هذا الحوار الصريح..

حوار: عبدالله الحيدري
السعودية

*** عُرف عبدالله بن خميس بآرائه المخلصة الصادقة التي تنبع عن غيرة على اللغة العربية الفصحى، فدعا إلى إنشاء مجمع لغوي في المملكة العربية السعودية، ودعا إلى إنشاء وزارة للثقافة، ودعا إلى إحياء سوق عكاظ. إلى أي حد أنت متحمس في هذه السن لهذه الأفكار؟**

- لا أزال على ما كنت عليه سابقاً، ولا أزال متحمساً للأمور التي كنت أدعو إليها وكنت أؤمن بها، ولا أزال أدعو لها وأنادي بها، وأرى أنها من واجبي أن أتبناها وأن أدعو إليها بكل جهدي وبكل ما أتمناه لبلادي ولأهل بلادي ولمجتمعي.

*** نتوقف عند وزارة الثقافة، لماذا دعوت إليها بالتحديد؟**

- هي من الأشياء التي دعوت إليها وآمنت بها، وأعتقد أنها من الأشياء الواجبة التي لابد لنا أن ندعو لها وننادي بها، وأعتقد أن وزارة الثقافة من الوزارات الجيدة التي تتبنى العلم والتعليم، ولهذا أدعو إليها وأنادي بها.

*** وماذا عن تصورك لإحياء سوق عكاظ؟**

- سوق عكاظ هي السوق الأثيرة التي قامت في هذه البلاد ومكثت مدة طويلة، وزارها النبي صلى الله عليه وسلم، وزارها عظماء العرب وشعراؤهم؛ رمز من الرموز الأصيلة التي يُنادى بها؛ ولهذا ناديت بها، وأعلنت النداء بها مرات وكرات، ولم أزل أنادي بها حتى الآن.

*** وماذا عن مجمع اللغة العربية المزمع إنشاؤه في المملكة العربية السعودية؟**

- إنشاء مجمع اللغة العربية في المملكة العربية السعودية فكرة ناديت بها منذ زمن طويل ولا أزال أنادي بها، وآمل أن يكون قد تحقق، أو هو الآن في طريقه إلى التحقق؛ لأنني فهمت أنه يدرس نظامه الآن ونوديت إلى أن أشترك في الاجتماع الذي شكّل لهذا الموضوع في مجلس الشورى.

وقد نوديت من ضمن من نودي للاشتراك في تخطيط نظام هذا المجمع المزمع إنشاؤه في المملكة إن شاء الله، وماذا يكون عليه وماذا سيكون نظامه وماذا ستكون أهليته وواقعه في مجتمعنا وفي

بلادنا، التي كان من المفترض أن ينشأ بها قبل خمسين عاماً.

والخلاصة أن المجمع في طريقه للإنشاء، وسوف يرى النور قريباً بحول الله وقوته.

*** لو تم الإعلان عن المجمع فمن ترشح لأمانته؟**

- هذا أمر لا أريد أن أتعجل فيه، فالأمانة لها من لها من الرجال الكُمّل العارفين الموثوقين الذين لهم اليد الطولى في اللغة العربية وفي أحوالها وفي كل شيء عنها.

*** ظهرت في السنوات القليلة الماضية «رابطة الأدب الإسلامي العالمية»، فهل تحمل عضوية هذه الرابطة؟**

- للأسف لا أحمل عضوية رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ولكنني أتشرف بحمل هذه العضوية، وأمنياتي للرابطة أن تتقدم وتنبغ ويكون لها أثرها وتقدمها في كل مجال من المجالات، وهذه من الأشياء التي تسر وترفع الرأس، ومن الأشياء التي نؤمن بها إيماناً كاملاً، فهي في الحقيقة من الأمور التي تثري الثقافة العربية الإسلامية وترفع المستوى في هذا الجانب، وتجعلنا نعيد ما كنا فيه، ونعود إلى أصلنا، وإلى ما نرمي إليه من النبوغ في شتى المجالات التي نؤمن بها، ونتحدث دائماً عنها، ونجعلها في الصميم من الأشياء التي نؤمن بها. هذا هو الذي آمله لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

*** بما أنك من رواد الصحافة والأدب، فلابد أنك تتابع الإصدارات الحديثة، كمجلة الأدب الإسلامي، والمعرفة، والدرعية، وسواها، فماذا عن هذه المجلات؟**

- أتابع هذه الإصدارات بدون شك، وهذه من الأشياء التي نعتز بها ونعتد بها وترتفع بها رؤوسنا، وتقع عليها مسؤولية بعث هذه الأمة وجعلها ينظر إليه نظرة التقدم ونظرة الرقي.

لست نصيراً للعامية.. وهناك من يبحث عن المثالب!.

*** يُثار جدل حول مصطلح الأدب الإسلامي، فما رأيك في المصطلح الأدق فيما يُعرف حالياً بالأدب الإسلامي؟**

- الأدب الإسلامي هو الأدب الحقيقي، وهو الأدب الذي نرمي إليه، وهو الأدب الذي ينبغي أن يكون في طليعة الأدب عندنا؛ لأن من لا ماضي له لا حاضر له، وماضينا هو الإسلام، ومستقبلنا هو الإسلام وهو النبراس الذي نؤمن به، ويجب أن نتحدث عنه ونقول عنه ما نقول، ونشجع كل إنسان يتبنى هذا الاتجاه في الأدب.

*** عبدالله بن خميس ارتبط اسمه ارتباطاً وثيقاً بالجزيرة العربية حتى سمّى صحيفته الحبيبة إلى نفسه «الجزيرة». ماذا تبقى من ذكريات حول الجزيرة (الأرض)؟**

- الجزيرة هي القلب النابض لي ولكل إنسان مخلص لهذه الأمة ولهذه البلاد ولهذا المجتمع. الجزيرة العربية هي منبع العلم ومتنزّل القرآن الكريم ومنبع الأحاديث النبوية، والمنابع الأصيلة التي تنبع من هذه البلاد ونبعت منها وسادت وقامت وسوف تقوم.

*** وماذا عن الجزيرة (الصحيفة) وذكريات البدايات والصعوبات التي واجهتها في تلك الفترة؟**

- لابد للإنسان في الحقيقة أن ينال ما ينال في كل شيء يهم به وفي كل شيء يقوم به، وفي كل شيء يتحمس له، وينال ما ينال من هذه الأشياء التي أشرت إليها، كالأتعاب التي تكلّفه، لكن مع الصبر والتحمل ومع الإيمان بما يدعو إليه الإنسان سينال ما يهدف إليه ويرمي إليه.

*** طفت - تقريباً - الجزيرة العربية ووقفت على سهولها وجبالها ووديانها وقراها وهجرها، وكتبت في ذلك مؤلفات معروفة، كالمجاز بين اليمامة والحجاز، وتاريخ اليمامة. ومن بين القصائد التي لازال الناس يرددونها إعجاباً بها قصيدتك عن «ثادق» فما قصة هذه القصيدة؟**

- كان سمو الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض قد دعي لزيارة

«ثادق» وهي تبعد ١٥٠ كم تقريباً شمال الرياض، وكنت من بين المدعوين لحضور هذه الدعوة للأمير سلمان. فأعددت قصيدة بهذه المناسبة، وهذه بعض أبياتها:

تلك أحلى المنى فقبّل وعانق
وارشف الراح من ثغور العواتق
واصدحي يا بلا بل الأيك نشوى
وخِدي نحو ربعها يا أيانق
واسكب اللحن يا حمام وَرتل
لبستْ أجمل المطارف «ثادق»
هزها الشوق فاستحالت طيوباً
فصباها من نفحة الورد عابق
زارها الفضل والنبوغ فأضحت
تتهادى في رائق أو شائق
صافحت كفها المنى أين منها
وامق لفّه الزمان بوامق
كلها في فم الزمان تحايا
كلها الشعر أين منه الرقائق
الرؤى حفّلاً و كانت سراباً
جادها البر فاستحالت سوابق
هذه «ثادقٌ» فزرها حبيباً
واحمل الموق والقلوب الخوافق

*** بعضهم يقول: إن لغة عبدالله بن خميس فخمة وقد تكون صعبة أحياناً، لكن هذا النموذج يؤكد أنها لغة سهلة وقريبة وذات موسيقى عذبة.**

– من يقول هذا القول لاشك أن لهم نظرتهم، ولهم وضعهم هداهم الله، والمفترض أنهم يتفهمون الحقائق ويتفهمون الدقائق، ويتفهمون اللغة العربية، وكيف ينطق بها عبدالله بن خميس، وكيف يحاول أن يبثها في مجتمعه، وفي وضعه الذي يتكلم به، لا أن يتكلم كلاماً مبلولاً معلولاً لا يستطيع أن يعطي عن اللغة العربية ما يعطي عنها من صدق وأمانة وحق.

*** نأتي الآن إلى قضية شائكة نوعاً ما. بعضهم يظلم ابن خميس حين يصفه بأنه نصير العامية في حين أنك تقول عن الشعر العامي في لقاء صحفي نشر عام ١٤٠٣هـ: «أنا لا أطالب بإحياء هذا الشعر»، وقلت أيضاً: «أنا لا أدعو إلى قيامه ولا استمراره ونظمه» فما الحقيقة في ذلك؟**

– الحقيقة في ذلك أن بعض الناس – للأسف – يأتون إلى الإنسان ويحاولون أن يبحثوا عن المثالب التي يمكن أن تقال عنه أو أنه يرمى بها أو أن يقال عنه ما يقال عنه حول هذا الموضوع. الشعر الشعبي هو رمز من رموز الشعر العربي الفصيح، ولاشك أنه منه وإليه، وإذا تدبرنا الشعر الشعبي وجدناه ذلك الشعر الذي عاش في جزيرة العرب أكثر من ثمانية قرون، وسجّلته هذه الجزيرة في أدبها، وفي علمها، وفي مجتمعها، وفي آرائها، وفي كل شيء عنها. لم يمر شيء من الأشياء في جزيرة العرب له وضع وله قيمة وله أثر إلا وسجله الشعر الشعبي طوال ثمانية قرون مرت بها هذه الآمة، فكيف يقال عنه ما يقال: إنه ليس من الأدب، وليس من الشعر، وليس من الحقائق الموجودة القوية الأثيرة عند الأمة العربية. ثمانية قرون عاشته هذه البلاد، ولاشك أن لها وله أثراً كبيراً حين يتحدث عن أدبها وعن علمها وعن آثارها وعن أخبارها وعن كل شيء فيها. يتحدث هذا الشعر كما تحدث الشعر العربي الفصيح سواء بسواء، فإذا كانت هذه البلاد تعيش هذا الوضع منذ ثمانية قرون، يقوله الشاعر ويملأ به المجتمع، ويتحدث عن آدابها وعن أحوالها وعن أمورها وعن كل شيء فيها، ومع ذلك يقال عنه: إنه ليس من الشعر في شيء، أو ليس من الأدب وليس من اللغة العربية. أنا أؤمن بأن الشعر الشعبي امتداد للشعر العربي الفصيح سواء بسواء.

الأدب الإسلامي هو الأدب الحقيقي.

*** بعض الباحثين المنصفين يقولون: فُهم عبدالله بن خميس فهماً خاطئاً في قضية الشعر الشعبي بالذات، فهو تحدث عن قيمة الشعر الشعبي في القرون الماضية وأنه يمثّل جزءاً من تراث الجزيرة العربية، لكنه يرفض هذا الغثاء الموجود في الساحة الشعبية الآن، والدليل أن ابن خميس نفسه لم يصدر ديواناً من الشعر العامي على الرغم من نظمه لهذا اللون من الشعر.**

– هذا صحيح وواضح ومعروف عني أنني لست في الحقيقة من أعوان هذا النوع من الشعر الغث الذي هو بين آونة وأخرى يقال على ألسنة الناس أو في بعض الصحف. لا، هذا لست منه

في قبيل ولا دبير ولا أؤمن به. كل ما في الأمر أنني أؤمن بأهمية الشعر الشعبي ومكانته في المجتمع ومكانته في الأمة العربية، وله وضعه وله دالته وأثره في الأدب وفي المجتمع وفي كل شيء، عن اللغة العربية، وعن مجتمع اللغة، وعن المجتمع في هذه البلاد. كل ما في الأمر أنه أنكره بعض من أنكره ممن لم يعرفه، وهذا لا غرابة أن ينكره إذا كان لا يعرفه، فالذي لا يعرف الشيء من حقه أن ينكره!

*** حملت مع جيل الرواد في المملكة عبء النهوض بالأدب والصحافة، وتميزت تلك الفترات بما كان يسمّى بالمناوشات أو المعارك الأدبية، ففي رأيك إلى أي حد تُثري الأدب؟**

- هذه المناوشات التي اتسمت بها صحافة الماضي لها أثرها ولها وضعها ولها مكانتها، أنا أرى أنها تثري الأدب وتثري المجتمع.

*** قبل خمسة عشر عاماً تقريباً قلت في لقاء صحفي عن الأندية الأدبية: «إنها لم تقم بالدور المطلوب منها»، فهل مازلت عند هذا الرأي؟**

- لازلت عند هذا الرأي مادامت تعيش على هذا المنوال وتعيش على هذا الوضع، ولم يكن لديها من القوة ومن التأليف ومن الأثر القوي الذي يرفع مستوى الأدب، ويرفع مستوى الأمة، ويرفع مستوى الثقافة، ويجعلها في المكانة السامية التي لها ما لها في رفع هذه المكانة. مادامت في هذا الوضع فلا أرتاح لها.

*** هناك روافد للأندية الأدبية، وهي الملتقيات الأدبية التي تعقد في البيوت، كاثنينية الشيخ عثمان الصالح أو خميسية باجنيد، فما رأيك بها؟**

- لابأس بها؛ لأنها ترمي إلى إيقاظ الأدب وإلى إيقاظ المجتمع، ولها دور في إحياء الشعر، فهي تنميه وتجعله معروفاً لدى المجتمع. خاصهم وعامهم كبيرهم وصغيرهم، وأمل أن ترتقي ويكون لها ما يكون لها من دالة، ويكون لها ما يكون من وضع وتطور وتبلغ إن شاء الله الغاية المؤملة منها.

*** عبدالله بن خميس من أوائل من حصلوا على جائزة الدولة التقديرية في الأدب، ما رأيك بالجوائز الأدبية بشكل عام، وما دورها في إثراء الأدب؟**

- الجوائز لها أثرها، ولها دالتها، ولها معناها في إثراء الساحة الأدبية وتطورها وتنورها، وأن تبلغ المبلغ الذي يراد منها، ولا أشك أن لها أثرها الكبير والقوي.

*** هل هناك كتب جديدة تبشر بها الساحة الأدبية؟**

- هناك كتاب ألفته عن الملك عبدالعزيز رحمه الله يقع في ستمئة صفحة يتناول حياة الملك وحروبه وآثاره وأخباره وكل شيء عنه، وهو في الطريق إن شاء الله إلى الطباعة.

*** ألا تحن إلى الإذاعة وإلى برنامجك الشهير من القائل؟**

- برنامج «من القائل؟» مكثت أقدمه أكثر من أربع سنوات وأخذ مني ما أخذ، وطبع في أربعة مجلدات، وأعتقد أنه كاف على وجه العموم، ولعل لنا جانباً إذاعياً آخر نقوم به غير هذا البرنامج.

*** متى نرى سيرتك الذاتية مطبوعة في كتاب؟**

- ألفت كتاباً في هذا الموضوع، وحينما عرضته على الجهة المختصة لكي تفسحه طلبت حذف أشياء كثيرة؛ ولهذا أبقيته على ما كان ليبقى لمن خلفي يقومون بطباعته.

المدخل الغربي لثادق القديمة